بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب إخبار النبي ﷺ

فيما يكون إلى قيام الساعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

((بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ:

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ -وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ- عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم، وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ». قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي)).

(..) قال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: النبي -صلى الله عليه وسلم- أسرَّ إليَّ سرًّا بهذه الفتن، بل بيَّنها بيانًا عامًّا، لكنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يحدِّث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يَعدُّ الفتن: «مِنْهُنَّ ثَلاَثٌ لاَ يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا»، ما معنى هذه الجملة؟ أي لا يكدنَ يتركنَ شيئًا، فهنّ فتنٌ عظيمة تعمُّ الواحدة منهن؛ حتى لا يكاد يسلم منها أحد، فهي فتنٌ عامة، هذه ثلاث فتنٍ كبيرة عامة.

وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: «وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ»؛ أي أنها تأتي سريعة ومتتابعة، فهي دون الثلاث الأُوَل في العموم، لكنها كثيرة السرعة، كثيرة التتابع؛ يتبع بعضها بعضًا.

«مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»؛ أي أنّ الفتن منها: صغار، ومنها كبار.

إذن -يا إخوة-؛ في هذا الحديث: بيان كثرة الفتن في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنها متفاوتة؛ فمنها:

- فتنٌ عامة، لا تختص بقطر.

- ومنها: فتــنٌ سريعـــــــــة.
- ومنها: فتــنٌ صغيـــــــرة.
- ومنها: فتــنٌ كبيـــــــرة.

وفي هذا معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فإنه وقعت في المسلمين فتنٌ كبيرة، ووقعت فتنٌ صغيرة، ووقعت فتنٌ سريعة، ولازالت تقع -نعوذ بالله من الفتن-، ففي هذا معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

((عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ)).

نعم، حذيفة -هنا- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ))، وهذا مشكل! إذ لو كان المقصود أنه بيّن كل شيء يقع إلى قيام الساعة لمَا كفى ذلك المقام!

ولذلك: الصواب أنّ المراد أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بيّن الأمور العظيمة ذات الشأن، ومنها أحوال الفتن.

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في سير أعلام النبلاء: "قد كان صلى الله عليه وسلم يُرتِّل كلامه ويفسره"، ما معنى يرتِّل كلامه ويفسره؟ أي يتكلم كلامًا مترسِّلاً حتى يفهمه الناس، فكان لا يسرد الكلام سردًا. يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: "قد كان صلى الله عليه وسلم يُرتِّل كلامه ويفسره، فلعله قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزءٍ، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود لَما تهيّأ أن يقوله في سَنة؛ بل ولا في أعوام".

إذن؛ مراد حذيفة ﷺ أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن الأمور العظيمة التي تقع إلى قيام الساعة، ومنها الفتن.

قال: ((حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)).

الدِّين محفوظٌ بحفظ الله، ولذلك أجمع العلماء على أنّ ما يقوم به الدين محفوظ؛ لم يُنسَ منه شيء، وإن نسي البعض حفظ البعض الآخر، فالدين بحمد الله محفوظ، لم يُنسَ منه شيء.

وقوله ﷺ: ((حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))؛ أي أنّ البعض حفظ شيئًا ونسي شيئًا، والبعض الآخر حفظ شيئًا ونسي شيئًا آخر، وهكذا.

قوله ﷺ: ((قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ))؛ يعني: الذين دخلوا في الفتنة، قد علموه، لكنهم تأوّلوا أو نسوا.

وأخبر ﷺ عن وقوع هذا الأمر؛ يقول: ((وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ))؛ يعني: كان يقع فيراه كما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- فيتذكر ذلك الشيء.

((عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ)).

هذا الحديث متّصل المعنى بما قبله، فحذيفة ﷺ يخبر أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبره بما هو كائنٌ إلى قيام الساعة.

ومعنى ((أَخْبَرَنِي)) أي: مع غيري -كما تقدم في السابق-، وأخبره بالفتن والأمور العظيمة، ليس بكل شيء -كما قدمنا-.

وإخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- إخبارٌ عامٌّ، لكنّ حذيفة ﷺ يقول: ((فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ)) وهذا يقتضي أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبر الناس أنّ أهل المدينة سيخرجون من المدينة، وهذا الخروج المقصود به

الخروج العام، ليس المقصود به خروج البعض، نعم؛ خرج بعض الصحابة للجهاد ولنشر العلم ولنشر الحق، وليس هذا هو المراد؛ وإنما المراد ما يُخرِج أهل المدينة إخراجًا عامًّا.

قال الحاكم في المستدرك: "قد خفي على حذيفة الذي يُخرج أهل المدينة من المدينة وعَلِمه غيره".

فأهل المدينة يخرجون بأسباب؛

- منها: أنها إذا فُتحت الأمصار جاء أهل الأمصار فرغَّبوا أهل المدينة في تلك الأمصار، قالوا: والهواء عندنا في الشام كذا، والأرزاق عندنا في الشام كذا، والهواء في مصر كذا، والأرزاق في مصر كذا، والهواء في اليمن كذا، فيخرج أقوامٌ معهم. والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.
- ومنها: أنّ أمراء سيُخرجون أهل المدينة من المدينة؛ كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه. فحذيفة لم يسأل، لكن غيره عَلِم.

وقد روى البخاري ومسلم أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: "سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف» يريد: عوافي السباع والطير"[1] يعني: أهل المدينة يتركون المدينة، وجاء في رواية: «تتركون المدينة».

قال العلماء: ليس المراد: الصحابة؛ وإنما من يأتي بعدهم من ذرياتهم، وذريات ذرياتهم.

«يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف»؛ يعني: لا يوجد فيها إلا السباع، يخرجون خروجًا عامًّا لا يبقى فيها أحد. حتى أنه جاء في بعض الروايات أنّ السباع تروح وتجيء في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، من خلوِّ المدينة إذ ذاك.

قال النووي رحمه الله: "المختار أنّ هذا الترك يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة".

---

(1) أخرجه مسلم (1389)، في كتاب: الحج، باب: في المدينة حين يتركها أهلها. والبخاري -واللفظ له- (1775)، في كتاب: فضائل المدينة، باب: من رغب عن المدينة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قد روي بإسنادٍ صحيح عن عوف بن مالك قال: "دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المسجد ثم نظر إلينا، فقال: «أمَا والله، ليدعُنَّها أهلها مذلَّلَةً أربعين عامًا للعوافي» أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع".

قال الحافظ ابن حجر: "قلتُ: وهذا لم يقع قطعًا؛ وإنما سيقع في آخر الزمان، فيدعها أهلها مذللة أربعين عاما". قال النووي: "إنّ ذلك قبل قيام الساعة".

((وَعَنْ عِلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ، حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ -يَعْنِي عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ-، قَالَ: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا")).

هذا الحديث -يا إخوة- يدل على ما قدمناه؛ وهو أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك إخبارًا عامًّا، ويدل على اهتمام النبي -صلى الله عليه وسلم- ببيان الفتن لأمته؛ ليحذروها، وليسلكوا سبيل السلامة عند وقوعها، وليتهيؤوا لها بتعلُّم السّنة.

وهذا الحديث -يا إخوة- يبيِّن جَلَد النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيان الحق للناس، فانظروا: صلَّى النبي -صلى الله عليه وسلم- الفجر وخطب حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى الظهر، فصعد فخطب حتى حضرت العصر، فنزل فصلى العصر، ثم صعد المنبر فخطب حتى المغرب!

الواحد منا إذا تكلم ساعة شعر بالإعياء الشديد، وهو -صلى الله عليه وسلم- يقوم بهذا الأمر العظيم؛ من حرصه على أمته -صلى الله عليه وسلم-، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته.

وقوله رضي الله عنه: ((فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ))، قلنا: هذا لا يلزم أنه أخبرهم بكل شيء؛ لكنه يدل على أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبرهم بأمورٍ عظيمة من الماضي؛ بما كان من خلق آدم عليه السلام، وبعثة الرّسل، وما يقع من أمور عظيمة في المستقبل.

وهنا نلحظ -يا إخوة- أنّ الراوي لم يصرِّح بما ذكره النبي-صلى الله عليه وسلم- في هذا الوقت الطويل.

وقول الراوي ((فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا)) يعني أنّ الذين استمعوا متفاوتون في الحفظ؛ فأعلمُنا بما أخبر -عليه الصلاة والسلام- عنه في هذا المقام هو أحفظنا.

وقد جرت سنة الله أنّ الناس يتفاوتون عند سماع العلم؛ فمنهم من يسمع ولا يحفظ شيئًا، ومنهم من يسمع ويحفظ أشياء، ومنهم من يحفظ أكثر من غيره.. وهكذا، وهذه كائنة من زمن الصحابة رضي الله عنهم، فالأعلم هو الأحفظ.

وهذا يدل -يا إخوة- على أنّ الحفظ علمٌ. فحفظ السنة، حفظ الأحاديث؛ علم، وليس كما يقول بعض من لا علم عنده: إنّ مَن حفظ زاد نسخة.

(..) حفظ الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو من علوم الأمة العظيمة.

والحفظ هو وسيلة الفقه؛ فإن الفقه في هذا الدين ليس فقه آراء؛ وإنما فقه أثر، فلابد من حفظ الآثار حتى يحصل الفقه للأمة.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- خطب الناس وأخبرهم بما كان حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- نُقل إلينا، لكنه لم يُنقل في حديثٍ واحد، لكن رواه الصحابة رواياتٍ متفرقة، من ذلك ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في إخباره عن الأمم السابقة وإخباره عن الرسل، والأحاديث في أشراط الساعة، والأحاديث في الفتن، كلها رواها الصحابة رضي الله عنهم، فجاءنا هذا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في روايات متفرقة.

ويفيد هذا الحديث:

- أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان أحرص ما يكون على البلاغ والبيان؛ فإنه -صلى الله عليه وسلم- كان حريصًا على تبليغ ما أنزله إليه ربه، ناصحًا للأمة، صبورًا على هذا.
- وفيه: أنه ينبغي على العلماء وطلاب العلم أن يُبيِّنوا للناس الخير بالخير؛ ليتَّبعه الناس، وأن يُحذِّروا الناس من الشر بالخير؛ ليَحْذره الناس. طالب العلم ينبغى أن يُبيِّن للناس الخير بالخير، يعني يُبيِّن للناس الخير بالسُّنة؛ فلا يُحدِث بِدعًا، يقول: أريد أن أبيِّن للناس فيها الخير، لا وكلا! يُبيِّن للناس الخير بالخير ويُبيِّن للناس الشر بالخير -أيضا-، يعني بالأساليب الشرعية التي شُرعت في هذه الشريعة من أجل أن يكثر الخير في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن أجل أن يُجتنب الشر.
- ومن ذلك أيضا: أنه ينبغي على طلاب العلم أن يحرصوا على تحذير الأمة من الفتن. وكما قلتُ مرارا وتكرارا لا يحصل التحذير من الفتن إلا بأمرين:

1. **الأمر الأول**: أن نُبيّن للناس أنّ الفتن قريبة، كثيرة، لنَحذر ويَحذر الناس.
2. **الأمر الثاني**: أن نُبيّن للناس السُّنة، وما كان عليه الصحابة.

لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان أَمَنة للناس، وتبقى سنته أَمَنة للأمة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم -كما سيأتينا إن شاء الله- كانوا أَمَنة للناس من الفتن، وفي آثارهم وفِقْههم أَمَنة للناس اليوم، فينبغي علينا أن نحرص على بيان الفتن للناس، وعلى أن ننشر السنة بين الناس، وعلى أن نحرص على أن نجمع الخَلق على الحق؛ وهذا من مقاصد الشريعة، وباجتماع الخلق على الحق تندفع الفتن والشرور.

نحن ندعو جميع المسلمين من العامة والخاصة إلى أن يتجردوا للحق، وأن يجتمعوا على الحق، والاجتماع على الحق هو: الاجتماع على ما جمع عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه؛ على التوحيد، وعلى الكتاب والسنة، فدعوتنا لإخواننا من طلاب العلم ومن العوام أن

نجتمع، لكن أن نجتمع اجتماعًا نافعًا؛ كاجتماع النبي -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه؛ اجتماعٌ على الحق، هذا إذا كنا صادقين في أننا نريد أن نجنِّب الأمة الفتن ببذل أسباب اجتنابها. وفضل الله واسع.

ولعلنا نقف هنا الليلة.

(..) انقطاع التسجيل.